

د. ديفيد تيرنر، إنجيل متى ، المحاضرة 15 – إنجيل متى 10: الرسالة إلى إسرائيل الخطاب الثاني

أهلاً بكم أيها الأصدقاء. معكم ديفيد تيرنر، وهذه المحاضرة الخامسة (أ) (من دورة إنجيل متى. وصلنا الآن إلى المحاضرة الثانية في إنجيل متى، محاضرة الرسالة، حيث يُكَلِّف ربنا يسوع تلاميذه بخدمتهم، ويُعطِيهم تعليماتهم، ويُرسِلهم

، كانت عظة الجبل، بالطبع، الخطاب الأول. وانتهت بتعليق على سلطة يسوع. وقد اختار إنجيل متى الإصحاحان 8 و9، بعناية أحداثاً من خدمة يسوع ومعجزاته، وخلفاً بين تلك المعجزات قصصاً عن تلمذته

.والآن كُلِّف التلاميذ بالخروج والقيام بخدماتهم كعمال في حقل الحصاد، كما ذكر ربنا في نهاية إنجيل متى ٩. لذا، نبدأ محاضرتنا بمحاولة فهم بنية هذا الخطاب. أولاً، سياق الأدبي. يُشكِّل إنجيل متى الخطاب الثاني ليسوع الذي يتناوله متى

يبدأ الخطاب الصحيح بعد الآيات ١٠: ١-٥، التي تُلخِّص تكليف الرسل، وتُدرجهم فردياً. وينتهي هذا بصيغة متى الانتقالية المميزة في الآية ١١: ١، تمامًا كما اختُتِمت عظة الجبل بهذه الصيغة، وعندما انتهى يسوع من جميع هذه الأقوال. لذا، بمقارنة الآيتين ٧: ٢٨ و ١١: ١، تبدأ بملاحظة سمة هيكلية رئيسية في إنجيل متى

لقد رأى الاثنا عشر كلمات يسوع وأعماله. والآن جاء دورهم لينطلقوا في رسالتهم المتنقلة بينما يواصل هو خدمته (١١: ١). حتى هذه النقطة من الرواية، أظهر يسوع سلطان الملكوت من خلال كلماته وعمله، من خلال رسالته ومعجزته، والآن يُفوض خدمة الملكوت هذه إلى الاثني عشر لرسالتهم الخاصة إلى إسرائيل (١٠: ١-٨). (عليهم أن يوسعوا خدمة يسوع بإعلان الملكوت وإظهار قوته لإسرائيل من خلال أعمال عظيمة. يتضمن الفصل إطار الخطاب (١٠: ١-٥)، ثم يتبعه تعليمات حول الجمهور ورسالة الرسالة (١٠: ٥ب-٨)، ودعم الرسالة (٩: ١٠-١٥)، والتعامل مع الاضطهاد والمعاناة (١٦: ١٠-٤٢). (الآن، بعد أن وضعنا الخطاب في سياقه الأدبي في إنجيل متى، يتعين علينا أيضًا النظر في البنية الأدبية للخطاب نفسه

أنتم تبحثون في المواد الإضافية أثناء استماعكم للشريط، آمل ذلك، في الصفحة ٢٢ حيث نجد مخطط المحاضرة. لاحظوا أيضًا الصفحة ٢٣ حيث نُدرج نهج ديفيز وأليسون في هيكلية المقطع. هذا ما أعرضه عليكم، كما تفكرون معي هنا الآن

نظرًا لتعدد وجهات النظر حول بنية الخطاب، فمن الواضح أنه ليس بنفس وضوح بنية عظة الجبل. يبدو هيكل عظة الجبل واضحًا نسبيًا، لكن من الأصعب بكثير محاولة فهم كيفية ترابط هذا الخطاب هنا. إن نهج ديفيز وأليسون المتقاطع، أي النهج الذي يُنشئ الخطاب كحرف "كاي" اليوناني وشكل "إكس"، ليس مقنعًا تمامًا.

لكن ثمة تناسق واضح في أنه بعد التعليمات الأولية في الآيات ٥-١٠، المتعلقة بجمهور الرسالة ورسالتها، إلى جانب بعض التعليقات حول دعمها، ينصبّ التركيز على قبول الملكوت أو رفضه. يبدو أن هناك فقرَةً تتناول قبوله في بداية الإصحاح، الآيات ١١-١٣، حيث يدور النقاش حول بركات البيوت والمدن الصالحة، يليها قسمان حول الرفض. أولاً، رفض عام، الآيتان ١٤ و ١٥، ثم بعض الحالات المحددة التي يُرفض فيها، الآيات ١٦-٣٩.

، تحذيرات من أن من بين الرافضين ستكون المحاكم والمجامع والحكام والملوك، وحتى أصعبهم على الإطلاق عائلة المرء. ولكن حتى هذا القسم الطويل في 10: 16-39 لا يقتصر على مجرد مادة عن رفض الإنجيل. ففي خضم هذه التحذيرات، توجد وعود بأن يسوع سيهتم بتلاميذه خلال فترات الرفض تلك، مثل الإصحاح 10: 19، "لا تقلق بشأن ما يجب أن تتكلم به، لأن الآية 20 من روح الآب ستتكمم فيك".

،بالإضافة إلى ذلك، في الآيات ٢٤ وما بعدها، يقول لنا ربنا إنه لا ينبغي أن نستغرب إن رُفضنا لمجرد أنه رُفض، فالتلميذ ليس أفضل من معلمه. لذا، فإن ما ورد في الآيات ١٦-٣٩ عن الرفض يتضمن تحذيرات محددة ولكنه يتضمن أيضًا بعض التشجيعات لنتمكن من التعامل مع المشكلة. ثم، أخيرًا، يختتم الخطاب، في الآيات ٤٠-٤٢، بنبرة إيجابية مجددًا، مع فكرة المكافآت لمن يتقبل أتباع يسوع ويساعدتهم، حتى ولو بشيء بسيط ككأس ماء بارد.

لذا، فالخطاب ليس واضح البنية كما قد تظن، ويصعب بعض الشيء فهمه، ولكن عند قراءته، تجده تعليمًا واضحًا وعميقًا لما ستواجهه الكنيسة عند خروجها. يتضح عند قراءة الخطاب أنه يتعلق أساسًا بخدمة أتباع يسوع الأصليين، بتلاميذه، لمدن إسرائيل. وهذا واضح تمامًا في الآيات ١٠-٢٣، بالإضافة إلى التعليق القائل بأن التلاميذ لا يجب أن يذهبوا إلى الأمم، بل إلى خراف إسرائيل الضالة فقط.

هذا في الآيتين ١٠ و ٦. إذًا، يتعلق الخطاب أساسًا بخدمة تلاميذ يسوع الأصليين لإسرائيل، ولكن هناك دلائل تشير إلى أنه يتحدث عن الرسالة العالمية المستمرة للكنيسة ككل. هناك إشارات إلى المثل أمام حكام الأمم وضرورة الثبات حتى يوم الدينونة. لاحظ ١٨: ١٠، ٢٢: ٢٦، و ٢٨.

وهكذا، يتصور الخطاب تاريخيًا وزمانيًا إضافيين، وبالتالي فهو ذو صلة بالكنيسة اليوم. إن عدم تعرض الكنيسة الغربية الحديثة لاضطهاد واسع النطاق من النوع المذكور في هذا الخطاب لا ينبغي أن يُعْمَى أعين المسيحيين الغربيين عن الحقائق العميقة المعروضة هنا. والآن، لننظر إلى متى ١٠: ١-٤ ونرى التكليف الذي كلفه ربنا لتلاميذه الأوائل وقائمة أسمائهم الواردة فيه.

،لقد أكد يسوع لتلاميذه ضرورة رسالته، وأمرهم بالصلاة من أجل عمال الحصاد في ٩: ٣٧ و ٣٨. أما الآن فتقتصر مهمته على الاستجابة لصلواتهم. يجب الوصول إلى جموع إسرائيل المحتاجة بقوة حكم الله الخلاصي، وهنا ينال التلاميذ السلطة للخدمة كما خدم يسوع نفسه قولاً وفعلاً.

في الخطاب القادم، يُدْغَر التلاميذ مرارًا وتكرارًا بأن مصيرهم سيرتبط ارتباطًا وثيقًا بولائهم ليسوع. وبينما يواصلون خدمتهم للملكوت، قولاً وفعلاً، سيواجهون ردود فعل متباينة تجاه رسالتهم، التي تتمحور حول هويتهم. فإن رُفضوا واضطُهدوا، رُفض هو واضطُهدوا.

انظر ١٠: ١٤، ١٨: ٢٢، ٢٤، و ٢٥. إذا قُبِلت، قُبِل هو. انظر ١٠: ٤٠.

وهكذا هو الحال اليوم. من المفيد ملاحظة أن الرسل المذكورين في إنجيل متى ليسوا بالضرورة مُصَوَّرِينَ في صورة إيجابية. ويهوذا خير مثال على ذلك.

أبناء زبدي المذكورون هنا متواطئون في طلب أهمهم الأناني أن يكونوا الأعظم في الملكوت الآتي. في الإصحاح العشرين، الآيات من ٢٠ إلى ٢٢، تُعرف عيوب بطرس. ومع ذلك، عندما يعترف بهوية يسوع، يُصبح أساسًا للكنيسة.

من الواضح أنه في خطة الله، بنى يسوع كنيسته بمواد بناء غير كاملة. ومن المتواضع أن نعترف بأن قادة الكنيسة الأوائل كانوا مُخلَّصِينَ، وإن كانوا أفرادًا معيبين. ولكن في الوقت نفسه، يُنسب هذا الفضل ليسوع.

راجع ما قاله بولس في هذا السياق في كورنثوس الثانية ٤: ٧. مع ذلك، فإن الاثني عشر هم العناصر البشرية التي سيبني عليها يسوع الكنيسة. إنهم أساسيون لاستمرارية خدمات يسوع قبل القيامة وبعدها، وسيكونون حكام إسرائيل الآخرين وفقًا لكورنثوس ١٩: ٢٨. الآن أنتقل إلى الإصحاح ١٠، الآيات من ٥ إلى ١٥، والتي ذكرنا فيها في الخطوط العريضة التعليمات العامة

، تتناول التعليمات في الآيات ١٠: ٥ إلى ١٥ غاية الرسالة، والمعجزات التي أُعطي التلاميذ القدرة على صنعها والزي الذي سيحملونه معهم، والاستقبال الذي قد يتوقعونه. تتناول الآيتان ٥ب و ٦ هذه الغاية، إسرائيل وحدها. أما الرسالة في الآية ١٠: ٧ فتُبشر بأن ملكوت السماوات قريب

المعجزات المذكورة في ٨: ١٠، شفاء المرضى، إحياء الموتى، تطهير البرص، طرد الشياطين، والزيّ، وهو بسيط نوعًا ما، لا يتطلب الكثير من النقود، الآية ٩، أو حتى بدلتين من الملابس، بل يفترض أن من يتلقون الرسالة سيدعمون التلاميذ في الآيتين ٩ و ١٠. وفي الآيات ١١ إلى ١٥، لديك فكرة أنه عندما يتقبل الناس الرسالة، سيقبلونك ويعتنون بك، وإذا لم يفعلوا، فلن يقبلوك ويعتنوا بك. لذا، بينما نقرأ هذا، نندهش من استمرارية مهمة التلاميذ مع مهمة يسوع ويوحنا، بالإضافة إلى النقص النسبي في الأموال والمعدات التي كان على التلاميذ أخذها

تُذكر هذه الميزة الأخيرة المؤمنين اليوم بأن مصدرهم الأسمى وخدمتهم هو قوة الرب ووعدوه، لا عطاياهم الخاصة. وبالمثل، فإن بساطة عطايا يسوع لتلاميذه هنا تميل إلى أن تنعكس سلبيًا على أساليب جمع التبرعات والتجهيزات الباذخة الرائجة في بعض الخدمات اليوم. ولعلّ تحريم خدمة غير اليهود في الآيات ١٠: ٥ إلى ١٥ هو أبرز ما في الآيات ١٠: ٥ إلى ١٥

من الواضح أن هذا النهي يختلف اختلافاً كبيراً عن التكليف الختامي لهذا الإنجيل، الذي يلزم بإرسال رسالة إلى جميع الأمم (٢٨: ١٨). (كيف يفهم هذا الاختلاف الجوهرى؟ لا يمكن التقليل من أولوية إسرائيل في خطة عهد الله. يُقدّم متى يسوع كابن إبراهيم الذي سُبّارِك به جميع الأمم) (١: ١١) (مقارنةً بتكوين ١٢: ٣ و ٣. مع أن مجرد النسب الجسدي لإبراهيم لا يستحق رضى الله، وهذا ما قاله يوحنا في ٣: ٩، ولاحظ أيضًا في ٨: ١٢، إلا أن اليهود ما زالوا شعب الله الأساسي في العهد، والبركة الأخروية تُمثّل المشاركة في الوعود المقطوعة للأباء (١١: ٨ و ٢٨: ١٩)).

وهكذا، فإن رسالة الأمم للعالم لا تُغني عن الخدمة الأساسية لإسرائيل، بل تُكملها وتوسّعها. لا ينبغي فصل المسيحية عن جذورها في الكتاب المقدس العبري ويهودية الهيكل الثاني. فالمسيحية ليست ديانة للأمم في المقام الأول، ناهيك عن كونها ديانة خاصة بهم

إن خصوصية الآية ١٠: ٥ ضرورية ليكون يسوع تحقيقًا لتاريخ إسرائيل ورجائها النبوي. أصبح تلاميذه نواة الكنيسة الوليدة وقادة المؤسسات، قارن الآيات ١٦: ٢٨، ١٩: ٢٨، و ٢١: ٤٣. في خطة الله الغامضة، للأسف لا يقبل معظم اليهود آنذاك والآن يسوع كمسيحهم الموعود، ولكن في ذلك الوقت والآن، لا تزال هناك بقايا مسيحية من اليهود المسيحيين

لذلك، يجب على المسيحيين غير اليهود الاعتراف دائمًا بأولوية إسرائيل في تاريخ الفداء. وقد علّم ذلك يسوع وبولس على حد سواء. لاحظ بعض المقاطع الأخرى، يوحنا ٤: ٢٢، ١٠: ١٦، رومية ١١: ١٦-٢٤، ١٥: ٧-١٢، وأفسس ٢: ١١-١٣

وهكذا، لا يزال هناك شعورٌ حتى اليوم بأنَّ مبدأ "الألوية" لليهودي لا يزال صحيحًا، كما قال بولس في رومية ١٦: ١٠. ننتقل الآن إلى التحذيرات والتشجيعات بشأن الاضطهاد الواردة في الإصحاح ١٠، الآيات ١٦-٢٣. تحتوي ١٠: ١٦-٢٣ على دورتين من التحذير والتشجيع

يُحذّر الأول من اضطهاد المحاكم الدينية والحكام المدنيين (١٠: ١٦-١٨). (ويبدو لي على الأرجح أنه عندما ورد في ١٠: ١٧: "سيُسلّمونكم إلى المحاكم"، فإن تلك المحاكم ستكون المحاكم اليهودية، كما كانت تُسمى آنذاك، بيت دين، أي بيت القضاء، أي المحاكم الحاخامية، التي ستُحاكم الرسل والتلاميذ، لمعرفة ما إذا كانت رسالتهم متوافقة مع اليهودية أم لا. كما ورد في معابدهم أيضًا

.أعتقد أن كلاهما يهوديان على الأرجح، في بيئة يهودية. لذا، سيُضطهد التلاميذ من قِبَل اليهودية الرسمية ومع ذلك، فإن عمل الروح القدس في حياتهم يشجعهم

سيترككم الروح من خلالهم في هذه الظروف العصيبة في ١٠: ١٩ و ٢٠. هذه هي الدورة الأولى. الدورة الثانية تُحذّر من أمرٍ يكاد يكون مستحيلًا، وهو خيانة أحد أفراد الأسرة، ١٠: ٢١

ربما يكون هذا أصعب ما نستوعبه هنا. وهذه الحلقة تُشجع التلاميذ بالتأكيد على مجيء يسوع، الذي سيُخلص من يبقون مؤمنين حتى النهاية، وفقًا للإصحاح العاشر والآية ٢٣. والآن، يُعدّ مجيء يسوع هنا في ٢٣: ١٠ من أصعب المقاطع في إنجيل متى بأكمله

هناك، كما أرى، خمس وجهات نظر معقولة في هذا الشأن. أولاً، قد يعني مجيء يسوع في ١٠: ٢٣ أن يسوع سيُكمل قريبًا، إن جاز التعبير، خدمة تلاميذه. سيتبعهم في أنحاء المدن

من هذا المنظور، فإن هذا المجيء، بين علامتي الاقتباس، ليس مجيءً أخرويًا، بل هو ببساطة عودة يسوع إلى تلاميذه قبل إتمامهم خدمتهم المباشرة في قرى إسرائيل. وهناك رأي آخر معقول، وهو أن قيامة يسوع تُعدّ مجيءً بالفعل، إذ إن قيامته ستُفتتح عصر الكنيسة الجديد. وهناك علماء يتبنون هذا الرأي

الاحتمال الثالث هو أن مجيء يسوع عملية تبدأ بالقيامة، وتستمر حتى يوم الخمسين، وربما يكون لها علاقة بالدينونة التي حلت بإسرائيل عام 70 ميلادي عندما دمر الرومان القدس، ولكنها تبلغ ذروتها في النهاية بعودة يسوع حرفيًا إلى الأرض. يتبنى المفسر الإصلاحي الشهير ويليام هندريكسون هذا الرأي في تعليقه على إنجيل متى. أما الرأي الرابع فهو أن تدمير القدس عام 70 ميلادي يُمثل دينونة قادمة على إسرائيل

يُشدد أشخاص مثل كارسون وهاغنر على أهمية تدمير الرومان للقدس عام 70م باعتباره مجيء المسيح للدينونة، مع أنه لم يعد شخصيًا إلى الأرض. وأخيرًا، هناك رأي خامس مفاده أن يسوع في عام 1023م كان يُعلم تلاميذه ككل، ليس تلاميذه الأصليين فحسب، بل تلاميذه كممثلين للكنيسة ككل، أنه قبل أن تُكمل الكنيسة رسالتها إلى إسرائيل، سيعود يسوع إلى الأرض. ومن بين من يتبنون هذا الرأي ديفيز وأليسون في تعليقهما القِيم، وبلومبرغ وغوندرى ودانيال هارينغتون في سلسلة مجلدات "الصفحة المقدسة" حول إنجيل متى.

.الآن، ليس من السهل الاختيار بين هذه الآراء الخمسة. يجب على المرء اتخاذ قراره مع مراعاة ثلاثة أمور أولاً، رأيه في نصوص أخرى في إنجيل متى تُذكر مجيء يسوع، مثل ١٦: ٢٨، ٢٤: ٣٠، ٤٤، ٢٥: ٣١، و٢٦: ٦٤

من المفترض، عند مقارنة جميع هذه النصوص، أن تتضح صورة متناسقة. ثانيًا، يعتمد بعض هذه النصوص القادمة على الأقل على دانيال 7: 13، حيث نجد صورة ابن الإنسان يظهر أمام القديم الأيام، وعلينا أن ندرس

هذا المقطع أيضًا. ثالثًا، علينا أن نقرر ما إذا كان خطاب يسوع التبشيري في إنجيل متى 10 يصف فقط الرسالة الأصلية للاثني عشر، أم أنه، في بعض المواضع، يستبق ويتصور الرسالة اللاحقة للكنيسة بعد القيامة.

بجمع كل هذه الأمور ومحاولة موازنة كل شيء، يبدو لي، على الأقل بعد دراسة كل هذه الأمور، أنه من الأفضل اختيار هذا الرأي الأخير الذي ذكرته، وهو أن يسوع لا يخاطب هنا تلاميذه الأصليين فحسب، بل الكنيسة ككل، قائلاً إنه قبل أن تُكمل الكنيسة رسالتها إلى إسرائيل، سيعود إلى الأرض. لكنني لا أعتقد أنه يمكننا الجزم بهذا التفسير. فخطاب يسوع التبشيري يستبق رسالة الكنيسة طوال الفترة بين مجيئه الأول والثاني، وتشمل هذه الرسالة الرسالة المستمرة إلى إسرائيل خلال جهوده التبشيرية لجميع الأمم كما هو مذكور في إنجيل متى ٢٨، الآيات ١٨-٢٠.

الآن، القسم التالي من حديث الرسالة، ١٠: ٢٤-٣٣. في الإصحاح ١٠، الآيات ٢٤-٣٣، الفكرة الرئيسية هي أنه في ضوء الرفض الذي سيواجهه التلاميذ، يأمرهم يسوع ألا يخافوا. ينهى عن الخوف. وكما قد نضن، قول عدم الخوف أسهل من فعله، لكن هذا القسم يقدم ثلاثة أسباب تدفع التلاميذ إلى عدم الخوف من احتمال الاضطهاد.

أولاً، يُدَّكر التلاميذ بأنهم، كخدامٍ للسيد يسوع، ليسوا أسمى منه، وأن عليهم أن يكونوا مثله. وبصفتهم خدامًا له، سيشاركون المضطهدين ١٠: ٢٤-٢٥. ومع تقدم الرواية وازدياد حدة المعارضة ليسوع، والتي بلغت ذروتها في خلافات أسبوع الآلام مع القادة اليهود، يُفترض أن التلاميذ قد استوعبوا هذا التعليم بشكل أعمق.

ثانيًا، بما أنهم يشاركون في معاملة يسوع، فلا داعي للخوف، لأنهم سيشاركون أيضًا في تبرئة يسوع ١٠: ٢٦-٢٧. لاحقًا، يمكنهم أن ينظروا إلى وراء من منظور ما بعد القيامة، كما يفعل متى الكاتب، ويدركوا أن القيامة برأت يسوع، وأن عودته ستبرئهم. عندها، ستُكشف جميع الأمور الخفية.

ثالثًا، لا ينبغي للتلاميذ أن يخافوا من المضطهدين، بل من الذي سيُحاسِبون عليه هم والمضطهدون يوم القيامة ١٠: ٢٨-٣٣. إن محنة المضطهدين مؤقتة، لكن المضطهدين أنفسهم سيُعانون عقابًا أبديًا. التلاميذ الذين يعترفون بيسوع سيعترف بهم يسوع أمام الآب.

إن المضطهدين الذين ينكرون يسوع سينكرهم أمام الآب. وهكذا، يستطيع التلميذ أن يتعامل مع خوفه بتذكر هويته المشتركة مع يسوع، والتركيز على عودته، والحفاظ على رهيته من الله. يُستشهد بمتى ١٠: ٢٨ كثيرًا في الجدل اللاهوتي الحالي، الذي يضع مفهوم الفناء، الذي يُسمى أحيانًا الخلود المشروط، في مواجهة التعاليم المسيحية التقليدية للعقاب الأبدي.

لم يكن هذا موضوعًا يهَمّ متى، ولكنه سؤال شائع اليوم. يتمحور الموضوع حول الآية ١٠: ٢٨ ب، حيث، يُوصف الله بأنه القادر على إهلاك الجسد والنفوس في جهنم. أما من يؤمنون بالفناء أو الخلود المشروط فيأخذون كلمة "يُهلك"، وهي الكلمة اليونانية "أبولوي"، حرفيًا، ويفترضون دينونة أخيرة يُهلك فيها المؤمنون، أي يزول وجودهم.

لكن يتضح من نصوص أخرى أن هذا الهلاك المزعوم هو عقابٌ للإنسان ككل. قارن مع متى ٥: ٢٢، ٥: ٢٩، ٣٠، ١٨، ٩: ٢٣، ١٥: ٣٣. هذا العقاب للإنسان ككل أبدي في مدته، تمامًا مثل نعيم الحياة الأبدية في ملكوت الله.

قارن الآية ٢٥: ٤١ بالآية ٢٥: ٤٦، وانظر أيضًا إلى نص العهد القديم الذي يُمثل خلفيةً لهذا، دانيال ١٢: ٢، ونصوص أخرى من العهد الجديد مثل يوحنا ٥: ٢٩، أعمال الرسل ١٥: ٢٤، تسالونيكي الثانية ١: ٩، رؤيا يوحنا

١٤:١٠، رؤيا يوحنا ٢٠:١٠، ٢٠:١٥، و٢٠:١٨. الآن، يمكن للنقاشات الأكاديمية حول وجود الجحيم أن تُخرجنا عن المسار الصحيح وتوقعنا في مسألة الكبرياء الفكري. نعتقد أننا نستطيع الفوز في النقاش، ولكن كما كان يقول أحد أساتذة معهد اللاهوت الذي كنتُ أدرس فيه، لا ينبغي لنا التحدث عن الجحيم إلا إذا كانت الدموع تنهمر على خدودنا. قد لا يكون من السهل علينا جميعًا البكاء عند الطلب، وهذا ليس ما يطلبه الله منا.

لكن النقطة المهمة هي أن مسألة العقاب الأبدي، على أقل تقدير، عقيدة مخيفة. إنها عقيدة ينبغي أن تُثير فينا رهبةً وقلقًا بشأن الهالكين. لكن كون هذه العقيدة مُربعة لا يعني أنها عقيدة يُمكننا إغفالها أو التقليل من شأنها بسهولة، لأنها تحديدًا الدافع المُقدم في إنجيل متى ١٠ للإخلاص والتلمذة خلال أيام الاضطهاد، وفقًا لـ ١٠: ٢٢، ٢٨، و٣٣.

لكن بصراحة، لو لم يكن هناك جحيمٌ لنتجنبه، لكان هناك سببٌ أقلّ للوفاء بيسوع، وكان هناك سببٌ آخر لإنكاره. حسنًا، لننتقل إلى الآيات ١٠: ٣٤-٤٢، القسم الرئيسي الأخير من الخطاب. في هذا القسم، تُواجه رسالة يسوع علاقاتٍ قديمة، ويُخبرنا أنه قد تكون هناك صعوباتٌ مع أقاربنا الأرضيين، وفي الوقت نفسه تُنشئ علاقاتٍ جديدة.

يختتم يسوع خطابه الثاني بتحذيرٍ مفاده أن هو ورسالة ملكوته لن يجلبا السلام تلقائيًا إلى الأرض. بل إن أقدس العلاقات الإنسانية قد تُقطع بسبب رسالته. وهكذا، لا يمكن حتى لعائلة المرء أن تُقدم على ولائه ليسوع.

يتفاهم هذا التعليم الصعب عند التأمل في أهمية الأسرة في الكتاب المقدس العبري. انظر إلى مقاطع مثل: خروج ٢٠: ١٢، ١٧: ٢١، لاويين ٢٠: ٩، تثنية ٥: ١٦، وفي تعاليم يسوع في مواضع أخرى. انظر إلى متى ١٥: ٤-٦، ١٩: ٨-٩، ١٩.

لذا، يُشدد يسوع والعهد القديم على أهمية الولاء والإخلاص وإكرام الوالدين. ولكن هناك أمرٌ يُعلي من ذلك. إن الولاء ليسوع وأتباعه قد يُسبب خلافًا عائليًا كبيرًا، مما يستدعي قطع العلاقات الأسرية.

ليس أمرًا يتمنى المرء حدوثه، لكن ولاءه الأول هو ليسوع، وعائلته الأولى هي جماعة المؤمنين. لا شك أن هذا الانقطاع في العلاقات العائلية الطبيعية سيجلب ألمًا عميقًا. أعرف معنى ذلك، وربما يعرفه بعضكم أيضًا.

لكن يجب مقارنة هذا الألم المؤقت بفضاعة الانفصال الأبدي عن يسوع. يُظهر مثال يسوع نفسه أن ولاء المرء يجب أن يكون لعائلته الجديدة (١٢: ٤٦-٥٠). (قارن يوحنا ٧: ٣-٩. يُعد يسوع بأن ألم العلاقات المفقودة في الحياة الحاضرة سيُعوّض بطريقة ما ببركات الملكوت الآتي) ١٩: ٢٩. (ينتهي الخطاب ككل بنبرة إيجابية، وبعد مناقشة الجحيم واحتمالية خيانة العائلة، يُمكنني استخدام نبرة إيجابية، وينتهي بنبرة واحدة في ١٠: ٤٠-٤٢ مع احتمال مكافأة من يُكرم تلاميذ يسوع).

من المهم أن نتذكر أن إنجاز رسالة يسوع يتطلب أكثر من مجرد مبشرين. يجب أن يشارك المجتمع بأكمله في هذه الرسالة. ومن يدعم المبشرين سينال مكافأة مساوية.

بعد الكلمات الرصينة حول حتمية الاضطهاد، حتى من العائلة، تُقدّم هذه الخاتمة لمحّة من التوازن تُشجّع التلاميذ في رسالتهم. فرغم صعوبات الأيام القادمة، سيجدون أناسًا مضيافين يستجيبون بإيجابية لرسالة يسوع والملكوت. لكن خاتمة هذا الخطاب لا تختلف عن خاتمة عظة الجبل.

يُقدّم كلا الخطابين الولاء ليسوع وملكوته بلغة صريحة إما أن يكون أو لا يكون. وفقًا لمتى ٧: ٢٤-٢٧، يُبنى بيت المرء إما على الصخر أو على الرمل. هناك إما طاعة لتعاليم يسوع أو عصيان لها.

بحسب الآية ١٠: ٣٩، إما أن تُفقد حياة المرء أو تُوجد. إما أن يعترف بيسوع أو ينكرها. لا شك أن البعض يحاول إيجاد حلول وسط ليحظى التلاميذ بعائلة ويسوع معًا، أي ما نسميه تحقيق الذات والتلمذة.

لكن بالنسبة ليسوع، لا يوجد حل وسط. إما هذا أو ذاك. إذا تفاقم الوضع وقالت عائلة أحدهم: إما يسوع أو نحن، فلا خيار أمام التلاميذ.

عليهم أن يتبعوا يسوع. الآن، لتتوقف قليلاً ونتأمل في هذا الخطاب في إنجيل متى، الإصحاح العاشر. عند قراءته من وجهة نظر مسيحي غربي، مواطن أمريكي، من الطبقة المتوسطة مثلي على الأقل، قد يبدو الكثير منه غير واقعي، لأن الكثير منا كمسيحيين في الولايات المتحدة وفي معظم أنحاء العالم الغربي لم يعان قط من معاناة مماثلة لتلك التي يتحدث عنها يسوع هنا. لكن من يدري ما قد يحدث في المستقبل، وربما يتغير هذا الوضع.

في الوقت نفسه، عندما نقرأ هذا، علينا أن نعي أن العديد من إخوتنا وأخواتنا حول العالم اليوم يعانون من اضطهاد شديد بسبب إيمانهم بالمسيح. إذا كنا مطلعين على تاريخ الكنيسة، فسنعلم أن المؤمنين بيسوع قد عانوا في الماضي أيضًا من اضطهادات مروعة بسبب شهادتهم له. علينا كمسيحيين غربيين أن نكون أكثر وعيًا بتاريخ الكنيسة ككل، ومعاناة المؤمنين في الماضي، وكذلك معاناة المؤمنين حول العالم حتى اليوم.

نأمل أن يحدث إنجيل متى ١٠ صدمة لنا، ونُغيّر نظرتنا المُتسرّعة إلى الأمور، بأن كل شيء يسير على ما يُرام وأن الأمور تسير على ما يُرام بالنسبة للمسيحيين. في الواقع، عومل ربنا معاملة سيئة من قِبَل كثيرين على هذه الأرض، وإذا تجرأنا على ذكر اسمه، فقد يكون هذا مصيرنا أيضًا. فليمنحنا القوة على تحمّله إن كان كذلك. فليمنحنا روحه الكلمات لنقولها كما وعد هنا.